عزيز السيد جاسم

محمد الحقيقة العظمى

www.ketab.ir

حققه وضبط نصه وعلق عليه

صادق جعفر الروازق

مؤسسة الرافد للمطبوعات

بغداد

السيّد جاسم، عزيز، Assayyid Jasim, Aziz
محمّدﷺ الحقيقة العظمىٰ / تأليف عزيز السيّد جاسم.
مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم / ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
WWW.arrafed.com
arrafed_pub@yahoo.com
ISBN: 978-600-5688-72-6
طبعة الكتاب الأولىٰ، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٧م.
الكتاب عربي. ٧٦٨ صفحة.
محمّدﷺ نبي الإسلام ـ ٥٣ قبل الهجرة، ١١ هـ
ألف. العنوان ب. الروازق، صادق جعفر.
٣م/ ٢ ج / ٩ / ٥ / BL٣٠

www.ketab.ir

محمّدﷺ الحقيقة العظمىٰ

تأليف: عزيز السيّد جاسم
تحقيق: صادق جعفر الروازق
نشر الرافد
الطبعة الأولىٰ / ١٠٠٠ نسخة
١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م
تصميم الغلاف: أحمد محمد كاظم
ISBN: 978-600-5688-72-6

* جميع الحقوق مسجلة ومحفوظة *

مقدمة المحقق

لكلّ كتاب نكهتهُ الخاصة به، تتجلى مرةً في أسلوب الكاتب، ومرةً في منهجية الكتاب المعتمدة لأبرز الأحداث والوقائع التأريخية والأبلغ عندما يكون الترابط بين الأصالة والمعاصرة، فتكون مادة الكتاب أشبه بالدليل الذي يبصّر الطريق ويرشد ويحذّر من إعادة وقائع الأحداث المأساوية ثانيةً، ومن أخرى فهو قد يهيأ للقارئ مسار سبل الخير، وإرشاده إلى ما يمكن ان يكون عليه من خير وسعادة بعد أن تتوافر مسببات الجدح في العقل وإنماء الوعي.

وغالباً ما تكون المادة في دراسة الأعلام توفر للقارئ جواً من التأثير والمعشوقية، وربما قد يبرز «الصبر» معلماً هاماً من سيرة الشخصية المكافحة المناضلة، فينعكس ذلك عند المتلقي القارئ ومدى محكومية واقعه وصبّره على ماحل ويحلّ به. أما والحال ان شخصية مثل الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ فهي الأولى والأجدر أن تُعرض عرضاً مميزاً ومتكاملاً ضمن منهجية شمولية واسعة.

بيد أن أساليب العرض والطرح لا تنهض، وفق تطور الزمن، والذوق،

www.ketab.ir

والحاجة الإنسانية. فما كان في القديم ربما قد لا يتلائم وذوق المتلقي المعاصر؛ لأن الأسلوب الأدبي في حالة تغير مستمر، وهذا ما يظهر جلياً عند الوقوف على نتاجات القدامى وبعض المعاصرين الذين اجتروا أيضاً هذا الاسلوب الفاقد لديمومة استمراره.

فالكتابات عن شخصية الرسولﷺ لا تُعد ولا تحصى، وأغلبها تميزت بمنهجية واضحة لا تختلف أحدها عن الأخرى، وكأنها قالبٌ مصبوبٌ عصيّ على الإنحناء وعصيّ على التغيير، فهي تبتدأ بأجواء الولادة وأهم الغزوات والصراعات الداخلية، ثم الوفاة مع حشوٍ كبير من الروايات وأسانيدها، وصبّها كما هي من مصادرها الرئيسية حتى دون ان يُصاب أخطائها الاملائية أية تعديل ينسجم مع رحابة الذوق الأدبي أوحتى تبسيط بعض الألفاظ التي قد تكون عصية الفهم عند البعض من المتلقين – القارئين – ولا يخفى على المطلع، ان هؤلاء المؤلفين والكتاب نجد لهم كثيراً من العذر، كون ان التوثيق الروائي يدلل على موضوعية المؤلف أوالكاتب وفق ما تعارف عليه من صون الأمانة العلمية، وهذا ما نعتقده أيضاً، إلا أن تكون مادة الكتاب بأغلبها تُجيّر للتوثيق، نعتقد أن في ذلك جفافاً ويبساً في الشعور يتوالد في ذات القارئ، فالقارئ بحد ذاته ليس نمطاً خاصاً، واحداً في ذوقه، فهناك من يبحث عن التوثيق العلمي المجرد وهذا ما يختص به المحققون لوحدهم، وهناك من يبحث كي يجد ذاته الحقيقية ومقدار تفاعلها مع سيرة الرسولﷺ، فليس من الأصلح ان نبقى نجتر أساليب ما ذهب اليه السلف الصالح من المؤرخين والكتاب ونحن نعيش اليوم حياة الوضوح

www.ketab.ir

وسرعة انتقال المعلومة وما تعكسه الفضائيات من لغة البساطة والشاعرية المؤثرة.

ويتضح ان (عزيز السيد جاسم) تعالى بأسلوبه عن كل الأساليب الأدبية القديمة، لا لأنه يمتلك أسلوباً أدبياً عصرياً مميزاً وحسب، بل كان الرجل يوظف صور التأريخ وأجترارها وتفعيلها ثانيةً في مجتمعه، سيما وان مصاديق سيرة الرسول ﷺ مصاديق قيم ومبادئ، ثورة حقيقية على كلّ صراعات (الأنا) السقيمة المدمّرة ببنية المجتمع، فالرجل يعتقد أنّه - وهو هكذا- صاحب مشروع عنيد في الكفاح من أجل الحرية التي نادى بها محمد ﷺ مناضلاً مخلصاً من أجل كرامة الوطن وتمتين أخوته الوطنية في عراقٍ موحدٍ وليس عراق واحد! هكذا كانت تنبئ تجربته المريرة بالحزن الشريف، كافح وهو أعزل إلا من ضميره، أبهرته سيرة الرسول، أراد أن يُقدّم هذه السيرة ويعرّفها للعالم أجمع بعد أن تباهى العرب كثيراً بمحمد العربي العظيم، وهم لم يقدروا على ايصالها نظرياً وعملياً، فهو يقول: «ان ما يزسمونه - اولئك الكتاب المتحجرون - (ويقصد بهم المزيفون بمبادئهم واخلاقياتهم السياسية) عن محمد لا يقنع العربي المسلم بالصورة فكيف يقنع المثقف في لوس انجلس ونيويورك ولندن وبون وموسكو وبكين ودلهي؟».

«فشخصية محمد قارة كبرى، بل قارات، لا يمكن الاحاطة بها، إنما يمكن - فقط- (وهذا حق) التوصل إلى استقصاء جانب معين من حياته الهادئة».

ولا نغالي في قولنا ان عزيزاً في كتابه «محمد ﷺ الحقيقة العظمى» كان غائراً

www.ketab.ir

في عمق السيرة، في عمق الذات المحمدية، مستجلياً أنصع الصور القيمية الإنسانية الخالدة. فهو اجلى للأبصار شعاعاً خارقاً أملى الفضاء بالأضواء، ومكّن للقارئ النظر في إدراك خراقة ذلك الشعاع، فهو فنان وأديب، ترك لمساته الفنية بريشة مبدع ماهر وفق اسلوبه المتعارف المتميز بالشفافية والجمالية الأكثر تأثيراً. أغنى مطالبه على نحو مؤثر وهو يستعرض العلاقة الجدلية بين عقائد محمدﷺ وممارساته التطبيقية، حتى أنه خلق الأعجوبة والدهشة في إطار التوترات المتناقضة. ومن ثم الفرادة في سلوك وحاكمية القدرة العقلية عند الرسولﷺ في كيفية الحسم.

فإضافةً إلى الاسلوب، يبرز الكاتب ألواناً من العظمة والتي قد يغفل عنها اصحاب الكتابات الوصفية والاستطرادية.

ولذا عُرفت كتابات عزيز السيد جاسم بأنها عنية برصيد فكري تستوضح كل خفايا الصورة وتستجلي كل مواقف العظمة التي تدور حول النظرية المركزية؛ العقيدة، والأفكار المحمدية والتطبيق، الممارسة، والنشاط المحمدي اللذان يشكلان أبلغ صور التزاوج والاندماج والتفاعل في حياة الرسول، كما أنه كان يرى ان تاريخ محمد والصحابة وعظمة الاسلام: جماهير وحركات وقادة ليس تاريخ في ذمة الماضي، ليس ما ضوية -كما يقول- مقطوعة الصلة بالحاضر، إنما هو تاريخ كامل غني يمثل أعمق خصائص الأمة الإسلامية عبر التاريخ.

فالغور في دراسة حياة عظيمة كحياة محمدﷺ - وكما يقول المؤلف - (تستحق التفاني في دراستها، والتفاني في إبراز معالمها المنيرة، من منطلق الإقتدار

www.ketab.ir

الابداعي، فالمؤرخ يؤرخ، والأديب يعرض ثقافته الأدبية، وكل ذي اختصاص يتناول الجانب الذي يشاء من زاوية اختصاصه، ولا بأس من القول أن أسهل الكتابات هي الكتابات السردية الروتينية، أما كتابات الأفكار فهي الكتابات المتفانية، التي تلهج وراء الحقيقة، الحقيقة بكامل وجوهها المتميزة: الحق، العدل، الجمال، الجلال، الحكمة، الكرم، التضحية).

فسجل كتابه هذا نتاجاً فكرياً حاكى فيه واقعه ومحيطه، أضافة إلى كتابه (علي بن أبي طالب.. سلطة الحق). والذي كان لنا سبق الشرف في تحقيقه والتعليق عليه، وها نحن نقدم مرة أخرى مقتحمين كنزاً فكرياً آخراً له متحدثاً به عن صاحب الرسالة الصادق الأمين الذي طوّق الدنيا بسيرته، وأدهش خصومه واعداؤه برفاعة خلقه وحُلمِه وصبرِه، فمثلما كان للمؤلف (رحمه الله) اسهامة الشرف وهويستعرض المكامن الفكرية في سيرة الرجل الاول في الإسلام، فلنا الحق ان نشاطره في هذه المساهمة المتواضعة، فلنا أن ننال شرفاً نبوياً ليومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم.

منهجية التحقيق

سبق، وأن حققنا كتاب «علي بن أبي طالب عليه السلام.. سلطة الحق» للمؤلف نفسه، وأوضحنا منهجيتنا في التحقيق، وهي ذات المنهجية في تحقيق هذا الكتاب، ومنها:

١- الوقوف على جميع الروايات والأقوال التي ذكرها المؤلف،

www.ketab.ir

وإسترجاعها إلى مصادرها الرئيسية.

٢- جميع الإشارات والهوامش التي ذكرها المؤلف، أشرنا اليها بكلمة (المؤلف).

٣- أشرنا بكلمة (المحقق) على كلّ قولٍ أوإشارة إوتخريج للمصادر لغرض التمييز بين عملنا التحقيقي واشارات المؤلف.

٤- أوردنا تكملة بعض الأقوال والشروح التي ذكرها المؤلف، والتي قد تبدو ناقصة القيمة نحو الأكمل والأفضل لبيان تمام الصورة عند القارئ. فجاءت التكملة بلا شك، لتضيف معانٍ أخر تستكمل فيها بلاغة الفكرة ونضوج المطلب.

٥- مُعالجة المشهور الروائي الذي لم يصمد أمام التحقيق، ووفق ما تتطلبه الفكرة، مُدعمة بالمصادر المعتمدة عند علماء التحقيق.

٦- اعتمدنا بشكل رئيسي على كتاب سيرة ابن هشام، وحاولنا استرجاع اغلب الروايات التي ذكرها المؤلف إلى هذا المصدر[1]، كون ان الكتاب السيرة النبوية لأبن هشام هو أوثق مصدر استطاع مؤلفه أن يلملم تأريخ السيرة بعد أن اعتمد على ما كتبه ابن اسحاق الذي عُرف عنه بالوثاقة وسعة الاطلاع والصدق في الأمانة العلمية، وابتعاده عن كلّ ما يخالج النفس من أهواء وتطلعات. وهذا

((١) وقد وجدنا ان محققي سيرة ابن هشام وبالأخص النسخة المحققة من قبل اساتذة جامعة القاهرة في مصر، اعتمدوا مصادراً متأخرة عن ابن هشام.

www.ketab.ir

هو السرّ الذي أودى بابن هشام أن يعتمده تعليقاً وشرحاً ونقداً وإضافة وتكملةً دون سواه من المصادر التي كتبت قبل كتاب ابن اسحاق.

ولمزيد من التفصيل والتوسعة على معرفة أهمية هذا الكتاب - سيرة ابن هشام - والاطلاع على ممن كتب في السيرة من قدامى الفقهاء، أفردنا هذه العناوين:

ابن هشام:

ابن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، نشأ في البصرة ثم انتقل إلى مصر ولم يذكر المؤرخون أنه نزل بلداً آخر، ولكن مثل ابن هشام طالب العلم وباحثاً عن الحقيقة لا يمكن له ان يقتصر على هذين البلدين سيما وقد كان العلم في عصره يؤخذ شفاهاً والتنقل وراءه وطلبه هو ديدن العلماء. وأما وفاته فهناك من يقول عام ٢١٨ هـ وآخرين قول ٢١٣ هـ.

كانت له منزلة كبيرة بين العلماء حتى ان الشافعي اجتمع به عند نزوله إلى مصر وتطارحا الاشعار البليغة للعرب.

ومارس فن الكتابة في أكثر من مجال، فمن أثاره من غير سيرة ابن اسحاق:

١- شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب.

٢- كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان.

قال عنه الذهبي: «العلامة النحوي الأخباري - إشارة إلى عنايته بكتابة

www.ketab.ir

السيرة- هذّب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكّائي صاحب ابن إسحاق، وخفّف من أشعارها، وروى فيها مواضيع عن عبد الوارث بن سعيد، وأبي عبيدة، رواها عنه محمد بن حسن القطّان، وعبد الرحيم عبد الله البرقي، وأخوه أحمد البرقي. وله مُصنَّف في أنساب حِمْيَرَ وملوكها..»[١].

وقال عنه ابن كثير: «كان إماماً في اللغة والنحو، وقد كان مُقيماً بمصر، واجتمع به الشافعي حين وردها، وتنادشا من أشعار العرب شيئاً كثيراً، كانت وفاته بمصر لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة»[٢].

وذكره ابن خلكان عن أبي القاسم السهلي: «إنّه مشهور بحمل العمل، متقدّم في علم النسب والنحو، وهو من مصر، وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حِمْيَرَ وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السَّيَرَ من الغريب ...»[٣].

البدايات في كتابة السيرة:

يقال ان معاوية بن أبي سفيان أحبّ أن يدون كتاباً في التأريخ، فأستقدم ابن شريّة الجرهمي من صنعاء، فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضين، ثم كثر العلماء في هذا التوجه، ووجدوا في سيرة الرسول ما يحقق لهم في أنفسهم من تعلق به وحب لتخليد أثره وآثاره، بعد أن مُنعوا من تدوين الحديث إلى أيام عمر

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١٠: ص٤٢٨-٤٢٩.

(٢) البداية والنهاية ج١٠: ص٣٠٨-٣٠٩، من حوادث سنة ٢١٨ هـ.

(٣) وفيات الأعيان ج٣: ص١٧٧.

www.ketab.ir

بن عبد العزيز، وقد برز منهم: عُروة بن الزبير بن العوّام الفقيه المحدّث، ثم أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ، ثمّ وهب بن منبّه اليمني المتوفى عام ١١٠هـ وشرحبيل بن سعد المتوفى عام ١٢٣هـ، وابن شهاب الزهريّ المتوفى عام ١٢٤هـ، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى عام ١٢٠ ومن ثم عبد الله بن أبي بكر بن حزم المتوفى عام ١٣٥هـ.

وهناك ممن تجاوز منتصف القرن الثاني كموسى بن عقبة المتوفى ١٤١ هـ وقعمر بن راشد المتوفى عام ١٥٠هـ ومن ثمّ محمد بن اسحاق والمتوفى عام ١٥٢ ويعد شيخ رجال السيرة يتلاه زياد البكائي المتوفى عام ١٨٣هـ. والواقدي صاحب المغازي المتوفى عام ٢٠٧هـ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى المتوفى عام ٢٣٠ هـ ابن هشام المتوفى عام (٢١٨ هـ وهوالشائع) ويعتبر ابن هشام هو آخر من ختمت به كتابة السيرة النبوية واقترنت باسمه.

مع ابن اسحاق:

ولد ابن اسحاق سنة نيف وثمانين من الهجرة ومات ببغداد ما بين سنة (١٥٠ هـ إلى ١٥٣ هـ)، والأشهر سنة ١٥١ هـ دفن بمقبرة الخيزران ببغداد، ولا زال قبره قائماً في منطقة الأعظمية ببغداد، وعلى مقربة من قبر أبي حنيفة النعمان.

أدرك ابن اسحاق زمان الإمام السجاد، علي بن الحسين عليه السلام، وروى عن الإمامين: الباقر والصادق عليهما السلام وُعدّ من أصحابهما[1].

---

(١) انظر رجال الشيخ الطوسي: ص٢٧٧.

www.ketab.ir

ترجم له قدماء الشيعة الإمامية، مع التصريح بعاميّته، وذكروا: أن له ميلاً ومحبة شديدة[١]، وهذا ما أوقع الخطيب البغدادي في شبهة انتسابه إلى التشيع[٢] مع ما أكده البغدادي نفسه عن وثاقته من رواية سفيان الذي قال ((جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً))[٣].

وأما عن حقيقة حاله، فالشيعة أكدوا على عاميّته، ولم يصرّح أحدٌ منهم على جرحه أو تعديله. وأما السنة فعدّوهُ من الشيعة حتى أصبح التضارب في تصنيفه يؤكد موضوعيته على ما نعتقد، فضلاً عما عُرف عن ابن اسحاق علمه الواسع واطلاعه الغزير في أخبار الماضين، ويقال ان سبب تأليفه لكاتب السيرة؛ هو دخوله على المنصور ببغداد - وقيل بالحيرة - وكان المهدي ابن المنصور حاضراً، فقال المنصور لأبن اسحاق: أتعرف هذا؟ وأشار إلى ولده، فقال ابن اسحاق: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين، قال: اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدمعليه السلام إلى يومك هذا.

ويقال: ان ابن اسحاق ذهب فصنف له هذا الكتاب، فقال له المنصور: لقد طوّلته يا ابن اسحاق، اذهب واختصره فأختصرهُ، وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين (الخليفة) وهناك من يقول: ان ابن اسحاق لم يؤلف كتابه

---

(١) رجال الكشي: ٣٩٠، قاموس الرجال ج٩: ص١٠١-١٠٢.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج١: ص٢٢٤.

(٣) ن، م: ج١: ص٢٣٧.

www.ketab.ir

بأمر من الخليفة ولا في بغداد ولا في الحيرة، وإنما تم تأليفه في المدينة قبل إقامته لدى العباسيين، وحجتهم على ذلك؛ ان ابن اسحاق ذكر اخباراً عن العباس جد العباسيين بما لا تليق بهم، مثل اشتراكه مع الكفار في غزوة بدر وأسّره بيد المسلمين وهوالخبر ذاته الذي حذفه ابن هشام خوفاً من العباسيين. وهذا رأي وجيه جداً، حيث اننا لم نجد خبر العباس في كتاب ابن هشام.

اما لماذا اعتنى ابن هشام بسيرة ابن اسحاق دون غيره من المؤلفين؟

ذكرنا أنفاً أن ابن اسحاق رجل عُرف بالعلم وغزارة المعرفة وربما كان يرى فيه الأوثق ممن كتب في السيرة، كونه أقضى أغلب شبابه في المدينة، رجل إلى غيرها متنقلاً في أكثر من بلد، وربما كانت مصر البلد الأول الذي نزل به ثم الكوفة والجزيرة والريّ والحيرة وبغداد حتى توفي فيها. وقد روى عنه الكثير من رجالات البلدان التي تنقل فيها، ولم يرو عنه من أهل المدينه سوى ابراهيم بن سعد.

ولم ينج ابن اسحاق من مظالم الطعن، فرميّ بالتدليس والقدر والتشيع حتى أفرد له الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» فصلاً لتفنيد أغلب ما وجه اليه من المطاعن، ومثله ابن سيد الناس في كتابه «عيون الأثر».

فمثل ابن اسحاق كان حريّ على ابن هشام ان يعنى بما كتبهُ ناقداً لبعض رواياته، وذاكراً لمافات ابن اسحاق من رواية أوخبر، مضيفاً ومكملاً لأخبار قد توافرت لديه مجدداً لم يكن لها وجود في سيرة ابن اسحاق ومع الكم الجديد الذي سمعه من زياد البكائي (١٨٣ هـ) أو

www.ketab.ir

حاذفاً للبعض الذي يراه لم يستقم مع السيرة، فأبن هشام لم يقتصر على نقل الرواية وحسب، فهو قد تبلورت لديه فكرة النقد والتعليق وهو أول من مارس هذا العمل، ولذا فهو يقول كاشفاً عن منهجية تعامله لكتاب ابن اسحاق: «وأنا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم، ومن ولد رسول اللهﷺ من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول اللهﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول اللهﷺ، وتارك بعض من يذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول اللهﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يُقرّ لنا البكّائي بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سِوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به..».

ابن هشام في إطار النقد

مما لا شك فيه، هناك بونٌ واسع بين رجال الحديث وبين المشتغلين بالعربية نحواً وشعراً، وابن هشام لم يعد من رجال الحديث، ولا من رواته، ولا

www.ketab.ir

من المصنّفين فيه، بل كان علماً من أعلام النحو والشعر، ((وإماماً في اللغة ... وقد كان مقيماً بمصر، واجتمع به الشافعي حين ورودها، وتناشدا من أشعار العرب شيئاً كثيراً ....))[١].

وأما في باب علم الرجال، فلم يصفه أحد بالظلوع فيه، وهذا ما أُخذ عليه عند حذفه لبعض من سيرة ابن إسحاق، يقول المحقق الدكتور سهيل زكار: «مما يؤسف له لجؤوه إلى حذف الكثير من مادة ابن اسحاق التي اعتبرها غير ضرورية، ثم صيرورته إلى تعديل بعض الأخبار، أو تعديل ألفاظها حسبما فهمها؛ ليكسبها قبولاً، أو وضوحاً رأى أنها تفتقر إليهما، ولا شكّ أن تعديلاته وشروحه هذه تأثرت ببيئته الثقافية، وطبيعة العصر الذي عاش فيه»[٢].

وذكر الدكتور ثامر العميدي وهو في صدد مناقشته حديث الثقلين بلفظ «كتاب الله وسنتي» في سيرة ابن هشام مؤكداً على أن ابن هشام لم يضطلع بالحديث، وغلب عليه النحو والشعر والنسب ولو كان خبيراً بهذا العلم لوجد حديث الثقلين غير الحديث الذي أورده في سيرته ونسبه إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بلا دليل.

ويضيف العميدي: ولكن الحديث - كما يظهر بوضوح - قد صادف شاعراً نحوياً فسكت عليه جهلاً بواقعه، إن لم يكن سكوته معبّراً عن موافقة

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ج١٠: ص٣٠٨-٣٠٩ في حوادث سنة ٢١٨ هـ.

(٢) سيرة ابن اسحاق، تحقيق د. سهيل زكار، المقدمة: ١٥.

www.ketab.ir

هواه، وهوى الناس الذين يسؤوهم ذكر الآلﷺ.

.... هـذا إن لم نحتمل أنّ ذلك من تصرّفه كما مرّ من تصريحه بخصوص ما فعلـه بـسيرة ابن اسحاق: حذفاً، وزيادةً، ونقصاناً، ... وينتهي في تقييمه، قائلاً: ابـن هـشام لم يُوثّـق أبـداً، ولا يُطمـأن في قبول الحديث على أمثاله؛ لأنّه مجهول الوثاقة في روايته، وقصيٌّ جدّاً عن درايته[1].

وعـلى الـرغم مـن قساوة هذا الحكم، إلاّ أن العميدي نفسه لم يكن بصدد تـضعيف جمـل سـيرة ابـن هـشام، وإنـما تناول وثاقة ابن هشام في إطار علميّ الرجال والدراية، ولـ[illegible] الفارق بين رجال السيرة ورجال الحديث، فالحديث يؤخذ من منابعه المعتبرة الذي لا يصيبهم الجرح، ولا يؤخذ من النحاة والشعراء وعلماء الأنساب (كما ولا يؤتمن في أخذ كُلّ علم الاّ من أهله فكذلك لا يعتمد في الحديث إلاّ على رجاله)[2].

أمـا مجمـل ما حمله ابن هشام من العلم - خارج نطاق الحديث- فهو عالم في أنـساب حِميَرَ وملوكها، وله كتاب في شرح ما وقع في أشعار السِّيَرَ، فضلاً عن مكانته في النحو والشعر[3].

كـما لا يقلّل من أهميته في نقل السير والمغازي، حتى أنّه استطاع بمنهجيته

---

(١) التحقيق في حديث الثقلين، د. ثامر حبيب العميدي/ نسخة مخطوطة مُعدّة للطبع: ٢٧٣.

(٢) ن. م.

(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان ج٣: ص١٧٧، عن أبي القاسم السهيلي في كتابه (الروض الأنف).

www.ketab.ir

لملمة السيرة وأن يقفز على كُلّ الذين سبقوه، وبات كتابه المصدر الوحيد المقرون بالسيرة، والمعتمد لكل الفرق والطوائف الإسلامية دون استثناء.

ومن ثم بات المصدر الأول الذي تناوله الشرّاح بمزيدٍ من التوسعة والتعليق عليه، فعبد الرحمن السهيلي المتوفي عام ٥٨١هـ عنى بالكتاب وتناوله على نحوجديد ونهج آخر سمّاه بـ (الروض الأنُفُ) وكتاب «كشف اللثام» لبدر الدين محمد بن أحمد العيني الحنفي، وكتاب «الذخيرة في مختصر السيرة» لبرهان الدين ابراهيم بن محمد المرَّل الشافعي. وكتاب «مختصر سيرة ابن هشام» لعماد الدين أبوالعباس أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي».

ومن ثم شيئاً فشيئاً تنبه المؤرخون المسلمون - ومنهم كتّاب السيرة- إلى ضرورة الألتفات لممارسة دور النقد والتمحيص إلى جانب المادة التأريخية، وهذا ما أكد عليه النويري (٧٣٢هـ) في موسوعته (نهاية الأرب) قائلاً: (وأما من ينسخ التأريخ فإنّه يحتاج إلى معرفة أسماء الملوك وألقابهم ولغاتهم وكناهم ... وكذلك أسماء المدن والبلاد والقرى والقلاع والرساتيق والكور والأقاليم)[1].

وهذا يعني تجاوز سند الخبر والتأكيد على متنه والعمل على ضبطه وتحريره ومن ثم معالجة الأحداث التي تكتنفه.

وبعدما يقارب مئة عام، تطور هذا النقد على يد المؤرخ ابن خلدون (٨٠٨

(١) نهاية الإرب ١: المقدمة.

www.ketab.ir

هـ) فأهتم بنقد الخبر من داخله أكثر من أهتمامه بظاهره، كون أن ظاهر الخبر لا يمثل كامل الحقيقة، فلابد من التعامل مع روحية الخبر ومقارنته مع أشباهه وفق قواعد وأصول، وذلك كما يقول ابن خلدون، (لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل لم تحكم فيها اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الإجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيراً ما وقع للمؤلّفين والمفسّرين وأئمة النقل المغالطة في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط)[1] ثم يسند تحوله هذا على شواهد كثيرة، وينتهي قائلاً: (فإذن يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفّق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها مستوعباً لأسباب كُلّ حادث واقفاً على أصول كلّ خبر. وحينئذ يُعرض خبر المنقول على ما عنده في القواعد والأصول فإن وافقها

(١) تاريخ ابن خلدون ج٩: ص١ .

www.ketab.ir

وجرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلا زيّفه واستغنى عنه، وما استكبر القدماء علم التأريخ إلاّ لذلك حتى انتحله الطبري والبخاري وابن إسحاق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأمة، وقد ذهل الكثير عن هذا السرّ فيه)[1].

وليس في قوله هذا غرابة، بل هو عَينُ ما قاله قبله الرسول محمد صلى الله عليه وآله: (إذا جاءكم عني الحديث فأعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فأقبلوه، وما خالفه فأضربوا به عرض الحائط)[2].

وابن خلدون – في أراءه– قد فتح باباً واسعاً أمام المحققين، وباتت المادة التأريخية بكاملها خاضعة للفحص والمناقشة ومعرفة مدى صدقها أو كذبها ليس من باب نسبة توثيق السند، وإنما بالنظر إلى روح المادة التأريخية، وهذا مالم يُحفز المؤرخين الإسلاميين في التسليم لهذا المنهج كون أن المادة التأريخية في أغلبها مادة حديثية – دينية ومن ذلك فأن التاريخ كُلّه مادة دينية لا يمكن أن توضع عليه عدسة الفحص والتمحيص وطرحها على طاولة المناقشة، فهي قد ولجت حيّز المحذور، ومجال الحُرمة. وباتت كُلّ غاية المحدّث تصحيح الحديث بتعديل رواته وتوثيقهم وضبط النص وتحريره، وليس هناك ما يدعو لمناقشة المتن وفق القواعد والأصول والضوابط التي وضعها ابن خلدون، فابن خلدون – نفسه– يعقب على هذا المنهج، قائلاً: (إنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحّة

(١) مقدمة تاريخ ابن خلدون: ج١، ص٢٨.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي ج١٠: ص٣٩.

www.ketab.ir

الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنسانية أوجب الشارع العمل بها، فمتى حصل الظنّ بصدقها وسبيل صحة الظنّ الثقة بالرواة بالعدالة والضبط. أما الأخبار عن الواقعات فلابدّ من صدقها وصحّتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهمّ من التعديل ومقدّماً عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحقّ من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران)[1].

فكان لمنهج ابن خلدون أثره في قراءة التأريخ. وبالأخص السيرة النبوية التي ضلع في كتابتها مؤخراً بعض المفكرين، وبعيداً عن الإثارات التي وضعها المستشرقون، نرى صاحب هذا الكتاب المفكر العراقي **عزيز السيد جاسم** قد خط منهجاً وسطاً في قرائته للسيرة، يُلاحظ ذلك؛ وهو يستقرء النص بطريقة جمع المتشابه وفق منظومة فكرية تجلت من مجمل حركة الرسولﷺ مع ما لوحظ من تأثره الواضح لمنهج بعض المؤرخين المسلمين كأبن أسحاق، وأبن هشام، وربما كاد يقترب إلى منهج ابن خلدون في النقد وتفكيك النص، وبشكل عام؛ فهو لم يقطع برأيه مع رأي بعض المسلمين في قراءاتهم للسيرة النبوية على أنها ظاهرة سماوية محضة مقطوعة الصلة بالجانب البشري ولا هو بالمتفق مع المستشرقين بإنكارهم للجانب الغيبي ونكرانهم لكل ما وراء المادة والحس.

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ج١، ص ٣٧.

www.ketab.ir

فالمؤلف – عزيز السيد جاسم – جمع بين رؤيتين متناقضتين متقاطعتين فكانت له هذه القراءة التي تستوجب كثير من التأمل ومزيد من الأعجاب، وفقَ ما يعتقده من ضرورة تفعيل مكامن السيرة في الحياة المعاصرة.

www.ketab.ir

فهرس محتويات الكتاب

مقدمة المحقق ٧

منهجية التحقيق ١١

أبن هشام: ١٣

البدايات في كتابة السيرة ١٤

مع ابن اسحاق: ١٥

ابن هشام في إطار النقد ١٨

مع المؤلف عزيز السيد جاسم ٢٧

محمد صلى الله عليه وآله الحقيقة العظمى

الفصل الأول: مدخل غير اعتباطي ٤١

الفصل الثاني: مولد الحق ٥٩

مولد الحق ٦١

مكة: المدينة المتكبرة ٦١

وثن المال يطرد البداوة: ٦٨

www.ketab.ir

سادن الكعبة: عبد المطلب ٧٣

النذر الخطير: ٧٦

قدر عبدالله: ٨٠

عام الفيل: المؤامرة في المهد: ٨١

الفصل الثالث: البداية الأرضية ٨٧

البداية الأرضية ٨٩

الدلالات الاجتماعية والروحية في زواج محمد: ١٠٨

وحدة المناقب الاخلاقية ١١٥

جاء في سيرة ابن هشام: ١١٨

سيل الماء وسيل الدم: ١٢٦

واحة النار، واحة الحرائق: ١٣٢

الفصل الرابع: دلائل المبدأ ١٤٧

دلائل المبدأ ١٤٩

فرائد الايمان ودلائل المبدأ: ١٤٩

الفصل الخامس: المسار النبوي الواحد والمسارات المتوازية ١٧٣

المسار النبوي الواحد والمسارات المتوازية ١٧٥

www.ketab.ir

العقائدية المحمدية: ١٧٩
الداعية الأعظم: ١٧٩
إلى أين وجَّهت قريش نيراها؟ ١٨٧
مجابهة البلاء في سبيل العقيدة: ١٩٨
المقاطعة: ٢٠٦
تطواف الطائف: ٢١٣
الفصل السادس: الوصول إلى بيت الله ٢١٩
الطريق إلى بيت الله أو انتصار العقيدة في التطبيق ٢٢١
صلح الحديبية: تكتيك عملية الفتح القادم: ٢٥٨
الفصل السابع: الطريق إلى تعميق اكتشاف وتجسيد الهوية القومية ٢٨٣
العروبة واكتشاف الذات القومية بعد فتح مكة ٢٨٥
القومي والأممي (خلاصة): ٢٩٥
الفصل الثامن: الواقعية المحمدية وعبقرية التطبيق السياسي ٢٩٩
واقعية محمد وعبقرية التطبيق ٣٠١
العبقرية السياسية لمحمد: ٣٠٥
القواعد الحقوقية والتنظيمية للدولة البلدية الجديدة في المدينة: ٣١٢
الوالي العادل وعلاقته بالمواطن: ٣١٩

www.ketab.ir

الشورى: الديمقراطية الرائدة في التاريخ السياسي ٣٢٦
الحرية ورفع الوصايات الكهنوتية: ٣٣٧
الحرية والمجادلة في الدين وغير الدين: ٣٤٥
أساس متين: ٣٥٥
في السياسة الخارجية: ٣٥٩
الدلالة السياسية لرسائل محمد رسول الله إلى قيصر وكسرى ٣٥٩
الفصل التاسع: العبقرية المحمدية في التطبيق العسكري ٣٦٧
العبقرية العسكرية لمحمدﷺ في التطبيق ٣٦٩
الفصل العاشر: واقعية المبدأية ومبدأية الواقعية في زواج النبي ٤٠٩
المقاصد المبدأية والعملية في الزواج المتعدد للنبي ٤١١
الفصل الحادي عشر: جواهر العقائدية المحمدية ٤٦١
منطلق الكفاح العقائدي ٤٦٣
حدثان كبيران في المسار العقائدي: ٤٧١
المدينة العقائدية: المدينة المنورة ٤٨٦
العقائدية وحرب الجدل: ٤٩٠
الصلابة العقائدية بمواجهة المنافقين: ٥٣١
إنتصار العقيدة الفاصل: ٥٥٧

www.ketab.ir

الفصل الثاني عشر: الأخلاقية المحمدية مزاوجة العقيدة بالواقع ٥٧١

أخلاقية محمد تعاليم وممارسة ٥٧٥

مكانة العقل في الاسلام: ٦٢١

الذاتي والموضوعي في نشوء الدعوة المحمدية / موجز ختامي: ٦٢٩

الملاحق ٦٥٧

ملحق رقم (١): الغزوات التي قادها النبي بنفسه ٦٥٩

جدول التفاصيل القرآنية في قصة يوسف ٦٦٥

ملحق رقم (٢) قصة يوسف في القرآن والكتاب المقدس ٦٦٥

جدول التفاصيل القرآنية لقصة يوسف ٧٠٩

النتائج المقارنة للروايتين ٧١٤

المراجع: المصادر التي أعتمدها المؤلف ٧١٧

صدر للمؤلف ٧١٩

على هامش التحقيق والتعليق ٧٢٣

حرية أختيار العقيدة ٧٢٣

الإكراه في القرآن ٧٢٦

تفاسير المشاهير: ٧٢٩

أولاً: السيد محمد باقر الصدر ٧٢٩

www.ketab.ir

التعليق ٧٣٠
ثانياً: السيدالخوئي ٧٣١
ثالثاً: جارالله الزمخشري ٧٣٢
رابعاً: سيد قطب ٧٣٢
خامساً: محمد حسين الطباطبائي ٧٣٣
سادساً: محمد حسين فضل الله ٧٣٤
سابعاً: محمد مهدي شمس الدين ٧٣٥
رعاية الاسلام لغير المسلمين ٧٣٧
مصادر التحقيق ٧٤١
فهرس محتويات الكتاب ٧٦٣

www.ketab.ir